آل آمخ ...

قصة بقلم الدكتور محمد عزيز الحبابي

ـ ١ ـ

« كلما زدت خطوة ازداد انزلاق أملي ، وشعرت ان الازقة تلتوي وتتحذلق كأنها تآمرت علي مع كآبة الليل . وجوه المارة بـــلا تعبير ، كان شيئا خفيا قد بهدلها . وجوه صامتة ومبللة . ربما كان التعبير مشيا بالارجل ، وقطرات عرق على الجبين وهم يسرعون الـى مواعد مع عشقهـم ...

ولكن ، هل الجميع يحب وله موعد مع الحبيب ؟! » .

* * *

اهتز كل جسد السيد (الفاروقي آل آمخ) ، في انتفاضـة ، فأحس ان الكهرباء قد سالت فيه من أعلى الى أسفل . انها تموجـات (التيليباثي) تفمره . بدأ الارسال . ولكيلا تشوش ضوضاء الطريق على الخطاب الموجه اليه من لدن قرينته (فطومة آل آمـــخ) ، ابتلـع حبة صغيرة من حبات « تركيز الانتباه » ، فأخذ دماغه يسجل :

ـ ألو ! قد التقطت ما خطر ببالك . لماذا تغرق في عوالم الماضي . تنظر الى ناس اليوم نظرة رجعية متخلفة ؟ أين لهم العشق ؟ هم من أجيال ما بعد ٢٠٠٠ وليسوا من جيلنا . انهم لا يعرفون الحب . المارة يسرعون في الطرقات فرارا من رتابتها المضنية ، ومن الاخرين : نفس الوجوه ، ونفس القد ، ونفس العرض ، ونفس اللون .. أرأيت لهم شبها بنا ؟ عندنا : الذكر ذكر ، والانثى انثـــى . اننـا نختلف طـــولا وعرضا ، لونا وثيابا . أما هم فقد خرجوا جميعا من قالب واحد ، وبعين الطريقة « الستاندارية » . العشق كان حتى القرن العشرين ، بين جنسين مختلفين ، ونماذج بشرية يمتاز الواحد منها بقسط مـن الملاحة أو البشاعة (وكل شعيرة يرزقها الله من يأكلها ...) . الحب، لا سبيل اليه اليوم ، كلمة قد اندثرت من قاموس الاجيال الحاضرة ، كما انقرض الكثير من المصطلحات المتصلة بالزواج ، والنسل ، وأعضاء التناسل ، لان العضو ينعدم بانعدام الوظيفة .

قاطع الرجل زوجته سائلا :

ـ وانت ، ماذا تفعلين الان ؟

ـ أحسب قرصات أكل الابناء الشهريه . لقد أفرغتها من جيبي فلاحظت انه تنقصني ثلاث ، ولا أدري كيف حصل الغلط في العد ..

ـ لا فائدة في البحث ! أنت أيضا ما زلت تفكرين بالطريقـــة القديمة ، طريقة عصر التخلف . عودي الى صيدلية البلدية وخـــذي ما ضاع ! الكل بالمجان !

ـ لكني أريد أن أعرف كيف ، ومتى ، ولماذا حصل ما حصل ؟..

ـ آه ! لم تتخلي بعد عن ذهنية القرن العشرين . لمـــاذا هـــذا الاهتمـام ؟

ـ لاعرف !

ـ ولماذا تريدين أن تعرفي ؟

ـ للمعرفة .

ـ ولماذا المعرفة ؟

ـ لافهم .

ـ ولماذا الفهم ؟

ـ لا تتعبني ! ان لي بقايا من الاعصاب ، أنا لست من أجيـــال اليوم ، عجل بالعودة الى الدار ، فالابناء حول الجدة تحكي لهم عـن أساطير وغرائب القرن الماضي ، وهم كالعادة ، يبتلعون كلامها بنهم . انهم ، كما تعلم ، لا يميلون الى شيء : لا مشاريـــع ، ولا شهوات . زمانهم ينساب على وتيرة واحدة لا يستملحون الا حديث الجدة وهـي تحكي عن « ما قبل التاريخ » ، كما يقولون ، تحكي عن مشاهداتهـا في القرن العشرين ...

ـ آه على حلاوة العبث ، والمغامرات الغرامية ! كان زماننـــا لذيذا ، لان في الصراع مقاومة للملل ! ان الالم ليحز في فؤادي أن أرى أبناءنا لا ينتظرون مفاجآت ، ولا ينغمرون في مشاكل . حياتهم ككـأس ماء صاف ، القمر والاعلى يكونان وحدة متكاملة ، لا ما يعكر البـال . آه لو ترك لهم العلم غريزة الجنس على الاقل ! مساكين ! يعيشـون دون خوف ، دون قلق ، بلا مشاكل . حتى الموت ، مات في ذهنيتهم .

ـ هل تتذكر ما قالته الجدة ؟ « كل ناس اليوم لا يموتون ، أمـــا نحن بقايا القرن العشرين ، فسنموت . اذن : نحن لسنا أناسا » .

ـ يا له من خطأ فظيع ! الجدة المسكينة تستنتج على قدر مـــا وصل اليه فكرها . نعم ، انه قياس خاطىء ، فنحن هم الناس ! نعم ، نحن أناس حقيقيون لاننا خرجنا من رحم بنات حواء ، خلقنا من نطفة، ثم علقة ، ثم مضغة ... ونشأنا على المنهج الطبيعي : الصبـــى ، والمراهقة والبلوغ . الحيضة ، والحمل ، والوضع ... أما أرهـــاط اليوم ، فالمخبر هو الذي يفرخ النسل ، فهم أبناء مصانع : لا عناق ، ولا قبل ، ولا مني يمنى . فها هم يعيشون على ما ولدوا عليه : كل شيء عاد ، لا وجع ولا مخاض ...

* * *

بقيت المحادثة مسترسلة بين الزوجين ، عن طريق الموجـــات الدماغية ، حتى وصل الفاروقي الى البيت .

تحرص ربة الدار على أن تتصل به من محطة دماغها لتلهيه عن همومه . فكلما خرج الى الشارع ، راوده مرضـــه العضال المزمن : التفكير في عالم اليوم ، ومقارنته بعالم الامس القريب . شتان ما بين العالمين !.. انها تخاف عليه من الخبل ، خصـــوصا وأن مستشفيات الامراض العقلية والامراض العصبية قد دخلت في خبر كان . الناس لا يفكـرون ، ولا يعشقون ، ولا يتصارعـــون من أجل الفد ، لذا ، لا يمرضون . عندما تساوى الجميع ، « ماديا وأدبيا » (عبارة عتيقة ، أيضا) ، أي عندما انقرضت الفوارق ، لم يبق لا أحمق ولا عبقري ، لا طباع سوية ولا طبـــاع مرضية ، فمات ، مع المـــوت ، الفن ، والفلسفة ، ولا شيء من الاشياء قام مكانهما .

* * *

ـ ٢ ـ

التفت حلقة الاسرة حول المدفأة ، وكان عصفور نزيل قفص مـــن فضة يزقزق من حين لاخر زقزقة مثيرة ، وكأنه يشارك القوم حديثهم. من بيت مجاور تأتي أصداء خافتة لموسيقى صامتة ، وأحيانا يتصعـد شخير الجد من سرير بالبيت المقابل فيبتسم الاطفال الاثنـــا عشر ، ويتغامزون .

كانت الجدة تحدثهم . انها نموذج وحيد (اذا استثنينا زوجها) ممن أطلق عليهم القدامى لفظة « شيوخ » ، وكما تصفها أساطيرهم :

شعر أبيض ، وتجاعيد في الوجه ، وانكسار في الصوت ، وضعف في السمع والبصر . اذا أرادت الوقوف استعانت بمن يأخذ بيدها ، واذا حاولت المشي (وقلما تفعل) اعتمدت على عصى .

« مسكينة الجدة ! ومسكين الجد ! لقد أتيا العالم على الشكل العتيق . لو انهما انتظرا جيلين لاستفادا من اختراعات العلم المعاصر ، ولوجدا على الطريقة الجاري بها العمل اليوم ، ولكانا على شكلنا .. ولكن .. نعم .. انهما يعتزان بماضيهما ولا يغبطان الاجيال الحالية . ربما كانا على حق . فحياتنا (كما يدعيان) غير جذابة لمن عرف الحياة الاخرى . نحن نعيش لان المخابر صنعتنا في حياد تام عن الحياة. اننا هنا ، وكفى . أما هم فيحيون بما يسمونه الصراع ، والحماس . انهم ، كما يقولون ، يحيون الحياة » .

* * *

بقي الاطفال ينظرون الى الجدة ، متأملين في وجهها ، وهي تحكي قصصا عن الماضي ، عن عصر الحرف والصناعة ، أي عن عصر ما قبل الانسان الاصطناعي ، حتى وصلت الى خاتمة الحكاية ، فعقبت :

ـ اننا لا نفرق بين الماء الذكر والماء الانثى ، ولا نتحدث عن طفولة الماء ، وكهولته ، أو شيخوخته . والسر في ذلك ان كل حبات الماء ، وقطرات المطر ، وأمواج البحر ، وشلالات الجبال ، تجسد الحركة الدائمة ، والتعاون المستمر . فالماء الراكد ماء منبوذ من المياه ، منفي في المستنقعات ، عقابا له اذ خرج عن الجماعة . انه ماء لا يصلح لا للعادة ولا للعبادة ..

فاطعها أحدهم في لهجة يملأها الحنان أكثر من الاحتجاج :

ـ أنت ، أيتها الجدة ، عندما تعيبين على أفراد جيلنا تشابههم التام ، تتغافلين عن ان ذلك هو مفخرة العلم الذي قضى على الفروق بين الافراد .

اغتاظت الجدة ، انها لا تريد أن تتلقى دروسا من الصغار ، أو من « الميني ـ بشر » ، كما يطيب لها أن تسميهم ، اقتباسا من موضة شاعت آبان مراهقتها ، أي حوالي عام ١٩٦٧ ! تلك أيام قد خلت ! جعلت الجدة حدا « لهرطقة » الولد ، واستأنفت حكايتها ، أو بالاحرى خاتمة الحكاية .

* * *

سكتت الجدة ، وأدارت مغزلها مرات متتابعة ، ثم جحظت ببصرها الى الحفدة ، فرأت أعينهم الصغيرة معلقة بشفتيها :

ـ أفهمتم معنى ما قلته لكم ؟

ـ نعم !

ـ يس !

ـ يا يا !

وصاح اخر :

ـ يا جدتي ، ان ما ذكرته الان ، ان هو الا تعقيب على ما حكيته أمس وأمس الاول ، عندما كنت أنا غائبا . لذا لم أفهم العبرة مما صرحت به هذا اليوم .

ـ وأنتم أيها الاطفال ، هل فهمتم العبرة ؟

ـ يس ! تقصدين بالقصة ان ....

فقاطع أحد الاخوة :

ـ لا ! الجدة لم تطلب منك أن تلخص . عليك أن تجيب كالعادة بنعم أو بلا . لا تنسوا اننا جيل اليكتروني مفطور على الاختصار والدقة !

فصرخ أحد الاخوة :

ـ نعم ، لسنا من جيل الجدة والجد الذي يجعل من الحشو والاستطراد أهم ما في لغته . انهما لم يربيا على اعتبار الوقت من ذرات ونور ، وعلاقات ، بل يقولان ان الوقت من ذهب ...

ـ ٣ ـ

دخل الاب على الجماعة ، فأظهرت الجدة غبطتها بقدومه . لقد أقلقها الانتظار . انها أم ، ومن لحم ودم ، فيؤلمها الحنين الى « فلذة » كبدها ، وتزن الوقت وباقي علاقاتها به بخفقات القلب . أما الاحفاد ، فلم يشعروا بشوق لابيهم (الشوق ؟ انه مرض انقرض مع كل ما انقرض) ، ولم ينتظروا ، لان كل حبات الزمان من لجمة واحدة ، تسيل دون طعم ، وبلا كثافة .

ـ لماذا يا بني تأخرت هذا المساء ؟

ـ الاشغال يا أماه ! الاشغال كثيرة !

ـ ألم تحقق بعد اكتشافك ؟

ـ لا ! لكني على وشك التحقيق .

ـ أريد أن يتم ذلك قبل موتي . أود أن أقاسمك سرورك وقد توجت أبحاثك بالنجاح .. قل لي ، يا عزيزي ، ما هو بالضبط ، هدف أبحاثك الحالية ؟ كم من مرة حكيت لي عن ذلك ، ولكن ذاكرتي تخونني ، لانها بشرية لا اليكترونية كذاكرة هؤلاء (مشيرة الى الاحفاد) .

فعقب أحد الابناء :

ـ نحن أيضا نريد أن نعرف ماذا تفعل يا أبتاه .

فقال له أخ ، بلهجة كلها لا مبالاة :

ـ ما الفائدة في ذلك ؟ ان البعض منا ، بالرغم عن كل ما وصلنا اليه من رقي ، ما زال مريضا بالفضول !

فاضاف ثان ، وهو يمتص حصته اليومية من الطعام :

ـ خذنا معك ، أيها الاب ، الى المخبر لنشاهد أعمالك .

هز الاب رأسه :

ـ ممكن .

ـ متى ؟

ـ غدا ، مثلا .

ـ هوكي !

مؤلفات رئيف خوري

تطلب من « دار المكشوف » بيروت ، ص.ب. ٥٨١
ومن جميع المكتبات الكبرى في البلدان العربية

الفكر العربي الحديث
وهل يخفى القمر ؟
رحلة في لبنان
الدراسة الادبية
صحون ملونة
مجوسي في الجنة
باغانيني ساحر النساء
ديك الجن الحب المفترس
الحب أقوى
مع العرب في التاريخ والاسطورة
الطفاة

— ٤ —

يدير الاب مخبرا عظيما بضاحية من ضواحي المدينة . ومنذ اكثر من ثلاثين سنة وهو يقوم بتجارب من نوع خاص .

ان المياه تتبخر أو تتجمد ، والاعشاب تحترق ، كل شيء يمكنه أن يتغير أو يدخر ، بغية استغلاله ، كطاقة للاضاءة او التدفئة ، أو في الصناعات المختلفة ... اما الملايير ، من الملايير ، من الملايير من الجمل التي نتلفظ بها يوميا ، فأين تذهب ؟ الى أي شيء تتحول ؟ هل تذوب أم تجمد ؟ لماذا لا تدخر فنستعملها عند الحاجة ، حطبا للتدفئة ، أو لاستخراج الطاقة الكهربائية ، أو لتمزج ، مثلا ، بالاسمنت والحديد لبناء السدود والبروج ؟ يجب أن نبحث عن الكوكب ، أو أي ظرف آخر ، تجتمع فيه الكلمات بعد أن تتلفظ بها الشفاه . هذا هو المشروع الذي يعمل على تحقيقه السيد الباحث آمخ .

افترض البعض أن الالفاظ ، بعد أن ينطق بها ، تتجمع ببرزخ يسمى « السجل التاريخي العام » . ولكن ، بما ان صنف المؤرخين لم يصل الى التعرف على ذلك « السجل » ، رغم التعاون المتين مع الجغرافيين وأصحاب الاحصائيات ، انسحبوا من الميدان ، فمات التأريخ ، بانقراض المؤرخين . الا ان الفلاسفة ، بالرغم عن اننا دخلنا عصر الصمت ، بقوا أحياء يرزقون ، أي يتكلمون ، ويتكلمون ، ويتكلمون ، بكمية لا متناهية من القول المجرد الفامض ، ولا يدري أحد أين تذهب ، ولا ماذا تصير تلك الاقوال .

* * *

بعد الرحلة الى المخبر ، حيث كان الاب يعطي الايضاحات عن التجارب التي يقوم بها ، وعن الآلات ، طلب منه احد الابناء :

ـ لماذا لم يهتم الاقدمون بهذه القضية اهتماما ملحوظا ، في القرن العشرين وقبله ؟

تنحنح الاب ، والقى نظرة عطف على آلاته ، ثم قال :

ـ نعم ، لقد اهتدوا الى التمكن من عقد زواج بين المكان والزمان، ومزجوهما ، فنتج عن ذلك ما يسمى بالسرعة : يقطعون المسافات الطويلة، في وقت قصير ، وعندما يعبرون المسافة ، يعودون فيجدون الطريق والمكان هما هما . أما الكلام الكثير فيطلب الوقت الكثير ، ثم بعد أن يقطع المتكلم قسطا من الوقت في حديثه ، البطيء أو السريع ، لا يجد من كلامه شيئا محسوسا قابلا للعد أو الوزن . هذا هو المشكل . فكم سمع الناس ، في عصر التخلف ، من خطب فيها الكثير من « حرارة الحماسة » ... وقد افتقدنا تلك الحرارة ولم نعثر عليها ، كان « الجامعة العربية » ، و « اليونسكو » و « هيئة الامم المتحدة » ، لم تلق الآلاف المؤلفة من الخطب الرنانة ، او كان « حرارتها » لم تكن الا مصطنعة !.. كم من طاقة في تلك الحرارة ، لو كانت صادقة ؟!..

أما أسباب اعراض القوم عن البحث لايجاد الحلول ، فمرجعه الى معارضة المؤرخين ، لان جل ما كتبوه ورووه يعتمد على أقوال وضعت وضعا ، أو ضاعت . فما السبيل الى فضح الفقلة والاغلاط والتزوير سوى الرجوع الى الاصل . فكان من المفيد للمؤرخين الا يتعرف أحد على مخازن الكلام الملفوظ عبر العصور . ثم اننا نعلم أن الفلاسفة لم يتورعوا عن افراغ الكلام في قوالب من الفراغ ، لو ادخرت لكانت فضيحتهم أشنع من فضيحة نقاد الادب ونقاد الفن ...

* * *

تلفت الجد وهو يتكيء على حفيدين من حفدته ، وسعل قليلا ، ثم صرخ :

ـ اكتشافك سيكون بديعا ، ولكن غير مفيد البتة ، ما دام المؤرخون قد انقرضوا . أبناء اليوم لا يهتمون بالتأريخ ، ولا بالصدق والكذب فيما قاله النقاد والمتفلسفون . ان الاجيال المصنوعة في المعامل لا تهتم بأبحاثك .

وأضافت الجدة وهي تنحرق أسفا وخيبة :

ـ أبناء اليوم ! آه من ابناء اليوم ! انهم لا يهتمون حتى بما هو أعمق وأثمن من النقد ، والفلسفة ، والتاريخ : الحب . آه عليك يا زمان الحب ، والغزل ، والدموع ، والعناق !..

هز الجد رأسه مرات ، وقال والسعال يتخلل كلامه :

ـ الوجدان ، والاستبطان !.. الشعور والعواطف !.. كل هذا أصبح ألفاظا بلا رنين ، كلمات جافة ، مفردات يابسة ، نذكرها بمحضر هذا الجيل الجديد ، فكأنما ننبش عن عظام نخرة ، في مقبرة الظلام !.. كلمات دون باطن ، ودون صدى .

تدخل الحفيد رقم ٣ (وهو من أربعة امتازوا عن بقية الاخوة بالفضول ، الى حد ما ، وبالكلام ، رغم ان جيلهم جيل عصر الصمت) وقال متوجها الى الجد :

ـ أنا لا أعارضك ، ولا أقاسمك احكامك ، لانني أجهل معنى هذا الشيء الذي كثيرا ما يتردد ، في كلامك مع الجدة أو مع أبي وأمي ، والذي تسمونه الحب . الحب ؟ ما هذا ؟

أشاح الجد بوجهه عن حفيده رقم ٣ ، وتجمل بالصبر كيلا يكثر من الكلام الذي سيذهب حيث لا يعلم أحد ، الى ذلك المكان المتستر دائما والذي يعمل ابنه على الجولة في أغواره .

تشاغل الجد عن الاحفاد ، أما الام فتناولت الموضوع ، فلم يفهمها أحد من الابناء . وأنى لهم أن يفهموا ما لم يتعلموه لا في المنزل، ولا في المدرسة ؟ أما في الشوارع ، فلا أحد يخاطب أحدا . كان زوجها والحماة والحمو يستمعون اليها ، ويشاطرونها الاسف والخيبة :

ـ الولادة الاصطناعية قضت على اتصال الجنسين ، فانعدم الميل الغريزي للعملية وللحاجة الى الاخر ، الى حضوره والائتناس به . هكذا قضت مخابر صناعة النسل على الحب ، على أقدس شيء انساني في الانسان !

فالت الام ذلك بنبرة الضراعة . فردد الجد :

ـ الحب ! كان الحب الغناء الروحي اليومي للفنان ، وللشاعر ، لكل امرأة ولكل رجل سوي . أما اليوم ... لا ! ما بقي في هذه الدنيا ما يغريني . اللهم عجل لي بالفرج ! أوف !..

* * *

تنهدت الجدة ، بدورها . أما الاب والام ، فلا يتمنيان الموت ، لانهما مسؤولان عن مهمة علمية عظمى أوقفا عليها حياتهما ، وبالرغم من خيبة بعض الملاحظات التي قاما بها . وقد بقيت المهمة سرية حتى اليوم .

* * *

كثيرا ما ألح الجد والجدة على أن يتعرفا على ما يقوم به ابنهما وزوجه من أبحاث ، ولكن قداسة سر المهنة حالت دون ذلك . أما الان ، وقد أوشكت التجربة أن تنتهي ، فلم يبق مبرر للكتمان التام . وفي غيبة عن الابناء ، لخص الزوجان المهمة ، للجدة والجد .

* * *

— ٥ —

التزم (الفاروقي) وحرمه الموقرة (فطومة) أن يرعيا أربعة أبناء من صلبهما ، مع أربعة من المنبثقين عن مخابر صناعة النسل ، وأربعة من نتائج تجربة ازدواجية (العملية الجنسية الكلاسيكية والعملية المخبرية) . أخذ الابوان يغذيانهم جميعا من نفس الاقراص ، ويعاملانهم نفس المعاملة ، في كل شيء . لم يعلم الاطفال ، أبدا ، انهم ليسوا أخوة أشقاء خرجوا من « بطن » مخبر واحد . نعم ، يظنون جميعا أن المخبر واحد ، ونفس الطبيعة ، وان المواد الاولى الخام كلها من أبويهما . المهم ليس ما يظنون (ولا اثم عليهم فيما يظنون) ، وانما المهم هو معرفة كيف تتصرف كل مجموعة من المجموعات الثلاث .

ان أفراد الاولى (أي الافراد الاربعة الذين صنعوا في الفراش

على طريقة ادم وحواء) قد حافظوا على ما يصطلح عليه الوسط المعاصر « رواسب التخلف والبدائية » ، حيث يتكلمون ، عند الحاجة ، ودونما كثير حرج ، حتى ليخيل للملاحظ ان الكـــلام لديهم شبه طبيعي ، فيركبون الجمل اذا تحدثوا ، ولا يبخلون ببعض الاشارات أحيانا . كما ينتابهم الميل الى الفضول ، في بعض المرات ، والحنين الى الاخرين ، بل (وهذا هو أغرب ما فيهم) انهم يحسون (أو يشعرون بما يشبـــه الاحساس) ، يحسون بالملل لما في حياتهم من رتابة ... والعلامـــة الاستدلالية لهذه المجموعة هي (آ : نسبة لآدام) .

أما الفئة الثانية (أي مواليد المخبر مائة بالمائة) فيمثلون أعـلى درجات الكمال : لا يتكلمون الا نادرا ، وقلما يقولون اكثر من « نعم » أو « لا » ، بل غالبا ما يجيبـــون بـ « هوكي » أي « نعم ــ لا » ، أو « لا ــ نعم » ، على حد سوي ، لان السلب والايجاب يتساويان عندهم، في اكثر الاحيان ، ما دامت الاشياء تسير سيرا طبيعيا ــ آليا ، عـــن غير ارادة منهم (الارادة ؟ هذه كلمة أخرى من كلمات الجد والجدة) . الحرف الاستدلالي لهذه الفئة هو (م : من مخبر) .

وأخيرا ، نصل الى المجموعة الثالثة (أي المكونة من خليط ، من المادة الخام البشرية ، والتركيب المخبري) . لهؤلاء الاربعة طبائـــــع مزيجة من عادات الفئة الاولى وسلبية المجموعة الثانية . أما حرفهـــا الاستدلالي فهو (خ : من خليط) .

* * *

عندما وصل العرض الى هنا ، صاحت الزوجة ، نحو الجـــــد والجدة ، وابتسامة عريضة تعلو وجهها الناعم :

ــ الان ستتيقنان اني لست الانثى الارنب التي تلد بدون حصر ، كما كنتما تقولان عني ! وستفهمان ، ايضا ، لماذا كنت اغايل ، فالد كـل سنة بالتتابع ، ولماذا أنجبت أربعة أبناء ، في كل مرة ! و ....

قـاطعها الزوج ليضيف ، بوداعة العالم الذي أوقف حيـــاته لخدمة التقدم :

ــ وعلمتما الان ، لماذا استبدلنا اسم أسرتنا ، في الحالة المدنية ، بـ « آل آمخ » !

ها ها ها ! ها ها ها !..

ــ ٦ ــ

لما انتهى الباحثان من تحرير التقرير عن التجربة ، وقبل تقديمه الى أكاديمية العلوم ، حررا وثيقة لابناء الفئة الاولى (آ) وطلبا منهم ألا يقرأوها الا بعد أن ينهوا دراستهم الجامعية .

وها مقتطفات من الوصية :

« الرباط ، في سنة ٥٣ . من العهد الجديد (١) .

والان وقد تعرفتم على أصلكم ، ونسبكم ، وتنسلكم ، وعشتـــم التجربة ، وقارنتم بين ما كان وما هو كائن الان ، كما قارنتم بيـــن أبويكم واخوتكم ، فدونكم المخبر الـــذي سترثونه دون بقية الابناء ، لانهم بلا فضول استطلاع .

يا أبناءنا الاعزاء !

نترك مسؤولية تسيير المخبر على عاتقكم . لقد حاولنا ، جهـد المستطاع ، أن نرفع شعوركم الى درجة الوعي ، وان نلقنكم أشيـــــاء وأشياء (اظهرتم استعدادكم لفهمها) دون بقية الابناء ، طمعا في أن تصيروا كراما بررة نحو الانسانية .

اننا نناشدكم ، باسم الآدمية التي تجمعنا واياكم ، أن تركـزوا أبحاثكم على ما يعيد للاسرة المحبة ، وينفم اختراعاتكم واكتشافاتكـم بشيء ، ولو قليل ، من العبث والدعابة ، لينسجم المعقول باللامعقول ، والنظام بالعفوية . فالذي يخترع نكتة جيدة يسدي للنوع البشري يدا بيضاء ، كالذي يخترع صاروخا ، سواء بسواء . انكم ، أيها الابناء، ان عملتم بنصيحتنا ، أعدتم الى البيوت الدمعة ، والبسمة ، وسعادة المفاجآت .

القضية هي أن تخوضوا المعركة من أجل الاسرة والبيت ، بما لهما من آلام وأفراح ، فينتصران على المخبر المستبد الغاشم الذي استعاض بآلات بكماء صماء جامدة ، ليتحدث ، ويشرع ، ويحكم ، وينفـــذ ، ويجعل القوم « يعيشون » باعين لا تنظر ، وبآذان لا تسمع . فحتـى القلوب لم تبق في الصدور !..

اننا ، يا أبناءنا ويا أمل الانسانية ، على يقين من ان أقوام اليوم اذا عرفوا ، من جديد ، معنى الحب ودفء البيت وحنـــان الاسرة ، تانسنوا ، واستأنسوا ، مرة أخرى ، وأعادوا للحيـــاة أبعادها العميقة الحقيقيـــــة .

أيها الابناء الاعزاء !

اعطفوا على الابناء الاخرين (م) و (خ) ، اخوتكم في التجربة ، فهم مجرد ضحية .

الحب والاسرة !

الاسرة والحب !

تلك هي وصيتنا .

كانت جل حركات جيلنا ترمي الى البحث عن التواصل مع الاخرين . كان الاخر ، هو ايضا ، يبحث ، ولكننا كنا نبقى عن بعد ، رغم التلاقي : حضور جاف لا يشفي غليلا ، كل واحد يتمنى ويشتاق الى اكثر مـن النظرات ، فلم يجد الناس الا الـــزواج (واحد وواحد = زوج) . في الزواج يتحقق الامتزاج الاعمق . ان المحبة عطش دائم الالحاح ، ولكن الزواج ، على الاقل ، يروي بعض الظمأ .

نعم ، مع القرن العشرين (بالرغم عن مرض الثرثرات ، وبالرغم عن تفاحش النفاق والزور) استطاع العلم أن يقضي عـــلى السل ، والسرطان ، وحمى المستنقعات ، والطاعون ، بل انقرضت كل الاوباء . أما ظمأ المحبين فكان أقوى من كل المقاومـــين ... فلا الفلسفة ، ولا الفن ، ولا العلم ، استطاعوا ايجاد حل . ولكن ، في عدم الحلول تكمن قيمة الحب .

الرجال لا يتحملون الابتعاد عن النساء ، والنساء يجهدن انفسهن، أبداً ، في الاقتراب ، ولكن لهيب ظمأ الحب ينمو بالاقتراب : « وداوني بالتي كانت هي الداء » .

جراثيم الابتعاد يقضي عليها الاقتراب ، الا ان الاقتراب هو ايضا مرض : أحدهما شراب مثلج أكثر من المحتمل ، والثاني شراب شديـد الغليان ينمي العطش .

كانت أعراض المرض واضحة ، والتشخيص لا يفتر ، ولكن أحدا لم يصمم العزم على القضاء على ذلك المرض المزيز النبيل .. حتى

(١) طبقا لما توصلنا اليه ، بعد أبحاث طويلة ، تحققنا ان هـــذا التاريخ يعادل ٢٠٥٣ مما كان يسمى بالتاريخ الميلادي (الراوي) .

صدر حديثا

لن يضيع الغد

ديوان جديد
من وحي النكسة
للشاعر
حسن عبد الله القرشي

٢٥٠ ق.ل — دار الاداب

حلت بنا كارثة صناعة النسل بالمخبر . اننا نعترف لكم بحظنا من المسؤولية في هذا الاختراع الشيطاني الذي بوص التناسل الآدمي الكلاسيكي . لقد قضي الامر ، وتكسرت زنابك (روسورات) الحب والصراعات التي يوحي بها الحب ! حقا نحن ابويكما ، لم نساهم ، مباشرة ، في النسل بالمخبر . ان ما اخترعناه هو الاقراص للتغذية . لكن رغبة الجنس تاتي من الشعور بالغربة والخوف من الجوع . فلما قامت الكيمياء بوظائف الفلاحة والصيد والرعي ، وصارت كمية الوجبة لا تتطلب اي جهد ، ويمكن اخذها مجانا ، زال الخوف من الغد المجهول، وزال معه الميل الى الاخرين .

من نتائج الاقراص ان امراض الجهاز الهضمي انقرضت ، والسكتة القلبية ، وغير ذلك من الاخطار ، فاقتنع الجميع بان لا هرم بعد اليوم ، ولا احتياج الى الاخرين ، وانتشرت الانانية ، بل تناسى القوم كينونتهم وأناهم ، لانهم توقفوا عن الصراع والنزوع . أمسوا بدون حاجات : النوع يحافظ على البقاء ، بفضل المخبر ، والابناء ليسوا عالة على أحد ، لانهم ليسوا لاحد ، ولا للجميع ، بل .. ولا لانفسهم.

ابناءنا الاعزاء !

لقد مثلتم مرحلة حاسمة في التجربة الثورية التي قمنا بها ، وقد نجحت (طبقا لما كانت ترمي اليه) ، الا ان نتائجها تعذبنا اذ نرى اخوانكم (م) و (خ) قد انعدمت فيهم الرغبات ، وتقلصت غددهم حتى أصبحت دون جدوى او وظيفة ، مثلها كمثل الزائدة الدودية عند أصحاب القرن العشرين . نعم ، تقوم الدنيا الجديدة على أنقاض العالم البالي ، دنيا القرن العشرين ، ولكن ، كما كان يقول أجدادنا : « لكل جديد لذة ، والبالي لا تفرط فيه » !

مغامرات اليوم غير جذابة لانها رتيبة ، وتسير ، كالقياس الارسطي : الخاتمة موجودة ، مسبقا ، في المقدمات . كان الناس يتطلعون الى الغد ، فانهار الغد . وكانوا يتصارعون بحافز الحب ، منبع التحديات والصراعات . أما اليوم ، فلا احد ينتظر احدا من الاحديين . انها هندسة سوت الباطن بالظاهر ، ووجهت المسيرة على خط واحد مستقيم ، صراط لا اعوجاج فيه ، لا طلوع ولا هبوط . الزمان ، هو ايضا ، تقلصت كل أبعاده . مرآة واحدة بثلاثة وجوه : لا تغير بين أمس ، واليوم ، وغد . فأستاذ النحو بمدارس اليوم (أي الالة المتخصصة في هذه المادة) تقرر ان الكلام الذي نرسله ، شفويا ، أو بالتموجات من الدماغ ، لا يخرج كله من ثلاثة أنواع : الفعل، والاسم ، والحرف . فأما الفعل ، فله صفة واحدة تعبر عن الدوام . أما الاسم ....

أيها الابناء الاعزاء !

لا نريد ان نطيل عليكم اكثر مما فعلنا ، راجين عدم المؤاخذة لاننا ما زلنا متأثرين ، الى حد ما ، بجو القرن العشرين وبعاداتنا العربية التي لم تكن تعتبر « الوقت من ذهب » ، بل من رمل . وكم كان عالمنا العربي غنيا بالرمال والكلام !

اذن ، أيها الابناء ، اننا نعلق عليكم كل الامال في عملية الانقاذ . لقد اكتشفنا كثيرا من المكاسب العلمية ، ولكننا لم نتكاشف لانفسنا ، لاننا أهملنا النكتة في الابحاث ، وتغافلنا عن ادخال قليل من العبث والدعابة للمخبر . فتلافوا أنتم الامر ، قدر الامكان .

ان مفتاح أبواب كل الاسرار هو الحب . نعم ، مارسنا الحب فوجدناه صعبا ، وكأننا نمضغ الحديد : ولكنه طعام لذيذ ، غذاء من أزهار تنبع عن الجرح بعبير من نور ، فنشعر اننا أرواح مجنحة تتحدى الموت والمصير ، وتجعل الرجل حمولة للمرأة ، والمرأة له فاكهة .

اعملوا ، أيها الابناء ، فنحن معكم قلبا وقالبا .

التوقيع :

أمكم	أبوكم
فطومة	الفاروقي

الرباط (المغرب) — محمد عزيز الحبابي

امام الباب المغلق

ديوان الشعر المنتظر
للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

المجموعة الشعرية الاخيرة التي وضعتها شاعرة النكبة فدوى طوقان ، وهي تضم طائفة من القصائد الجديدة المستوحاة من مأساة الشاعرة ومأساة كل عربي مزقته كارثة فلسطين .

صوت ندي بالاسى والدمع يجيئنا من الضفة الغربية ، يحدثنا عن آلامنا ونكبتنا أعمق الحديث واشده حزنا .

اخر ديوان لصاحبة « وحدي مع الايام » و « وجدتها » و « أعطنا حبا » .

الثمن ٢٠٠ ق.ل — **صدر حديثا**